

كلمة ألقاها كريم مروة في المؤتمر العالمي للأحزاب الشيوعية
الذي عُقد في براغ في عام ١٩٨٨

بمناسبة الذكرى السبعين لثورة أكتوبر (١٩٨٧) دعا غورباتشوف الأمين العام للحزب الشيوعي السوفياتي في تلك المناسبة التاريخية إلى عقد مؤتمر عالمي للأحزاب الشيوعية وللأحزاب الإشتراكية الديمقراطية وللأحزاب الوطنية والديمقراطية في إفريقيا. بلغ عدد الأحزاب المشاركة في المؤتمر مئتي حزب. وهو مؤتمر كان فريداً من نوعه وغير مسبوق. إذ هو جمع لأول مرة قادة الأحزاب الشيوعية مع قادة الأحزاب الإشتراكية الديمقراطية التي عاشت في خصومة تاريخية فيما بينها منذ عام ١٩٠٣ الذي قرر لينين فيه خلال المؤتمر الثالث للحزب الإشتراكي الديمقراطي الروسي الخروج من الأممية الثانية التي كان قد أسسها ماركس وإنجلز في ثمانينات القرن التاسع عشر.

كان المؤتمر المشار إليه حدثاً تاريخياً. وكنت مع الرفيق جورج حاوي مُمثل حزينا الشيوعي في المؤتمر. على ضوء ما خرج به ذلك المؤتمر التاريخي من انفتاح للأحزاب التي تحمل راية التغيير الديمقراطي باسم الإشتراكية أو بما يلتقي معها، انفتاح بعضها على بعض واعتراف كل منها بالآخر، في ضوء ذلك المؤتمر تقرر عقد مؤتمر آخر في شهر أيار من عام ١٩٨٨ حول مجلة "قضايا السلم والإشتراكية". والمعروف أن المجلة كانت تصدر في براغ باسم الأحزاب الشيوعية. وكان لحزينا ممثل في هيئة تحريرها. كان الهدف من عقد ذلك المؤتمر إحداث تغيير في خطة المجلة في الاتجاه الذي يجعلها منبراً للحوار الديمقراطي بين جميع الأحزاب التي شاركت في المؤتمر الأول وللمتقنين الديمقراطيين واليساريين الذين يحملون أفكاراً تعبر عن الرغبة والحاجة إلى التغيير الديمقراطي لمصلحة الحرية والتقدم والسلم والعدالة الاجتماعية.

وقد شاركتُ في ذلك المؤتمر مع رفيقين هما رفيق سمهون، الذي كان يمثل الحزب في هيئة تحرير المجلة، والرفيق ألبير فرحات عضو اللجنة المركزية للحزب.

وأشهد أن كلاً من المؤتمرين اللذين كانا حدثين تاريخيين قد انتهيا من دون أن يتركا أي أثر الذي كان يبتغي من عقدهما. وكان من أكثر التعبيرات عما أشرت إليه هو أن المجلة قد توقفت عن الصدور بعد فترة قصيرة من انعقاد المؤتمر الخاص بها. وتلا ذلك صراع داخل الحزب الشيوعي السوفياتي بين اتجاهين أعطيا صفتي التجديد والمحافظة. وما لبث أن انهار الاتحاد السوفياتي ومعه التجربة الإشتراكية برمتها في عام ١٩٩١ بعد أربعة أعوام من انعقاد ذلك المؤتمر التاريخي الأول وثلاثة أعوام بعد المؤتمر الثاني.

توقفتُ عند هذين المؤتمرين لأشير إلى الرغبة في التجديد في الحركة الشيوعية من أجل الدخول في العصر، وتحويلها إلى قوى حقيقية فاعلة في العالم المعاصر، لم تكن متوافرة شروطها الحقيقية. إذ كان الخلل البنيوي في تلك الحركة الذي رافقها منذ البدايات قد قادها ضد تلك الرغبة في التجديد إلى الانهيار.

لكنني رأيتُ أن أتوقف عند ذينك المؤتمرين لكونهما حدثين تاريخيين. وأنشر فيما يلي نص الكلمة التي ألقيتها باسم حزبنا في المؤتمر الثاني التي عبّرت فيها بصدق عن حاجة حركتنا الشيوعية إلى التجديد في أفكارها وفي أساليب وأشكال نضالها لكي تكون بالفعل وليس لمجرد الرغبة جزءاً من العالم المعاصر:

أيها الرفاق،

إنّ الغاية الأساسية من هذا اللقاء، ومن اللقاءات المقبلة التي ينبغي أن تتعدد، وتتنوع أشكالها وصيغها، هو التجديد الذي تحتاج إليه حركتنا الشيوعية والعمالية. وهذا التجديد ينبغي أن يطال الفكر. ونمط التفكير، والخط السياسي وطريقة صياغته في النضال وأشكال ممارسته، والعلاقة بين الفكر والممارسة. ومن دون الدخول من الباب الواسع في عملية التجديد هذه، تفقد حركتنا موقعها الطليعي في حركة التاريخ، وتتخلف عن القيام بدورها كمثل للقوى الاجتماعية الأكثر ثورية، والأكثر مصلحة في التغيير، أي الأكثر مصلحة في تحقيق السلم والتقدم للبشرية.

لكن الانتقال من القديم إلى الجديد، من الخطأ إلى الصواب هو دائماً صعب. غير أنه، بالنسبة لحركتنا دائماً ضروري. وهو يتطلب جرأة ثورية استثنائية. وهي الصفة التي يفترض أن تكون ملازمة للقوى التي تتصدى لعملية التغيير الثوري في المجتمع، أي أن تكون الصفة الملازمة لنضالنا نحن الشيوعيين، بالدرجة الأولى.

من هذا المنطلق ننظر اليوم إلى مهمتنا في هذا اللقاء، وإن كان يتعدّر علينا أن ننخرط في بحث تفصيلي ومتكامل يتناول أوضاعنا السياسية كافة، المتعددة والمختلفة. وظروف نضالنا، والقضايا التي تواجه كلاً منّا في بلاده، وأن نحلّل أوضاع العالم المعاصر، وقضاياها، أي ما هو مشترك بيننا جميعاً، وأن نستخلص منه المهمات التي توحّدنا في التعدد والتنوع والاختلاف. إلا أنّ هناك جملة من القضايا والأسئلة نرى ضرورة أن تُعنى المجلة في تسليط الأضواء عليها وإثارة

النفاش حولها. ونؤكد من بين هذه الأسئلة على الأسئلة التالية، التي سيكون لنا إسهام في محاولة الإجابة عنها:

أولاً: كيف نفهم النضال من أجل السلم في ظروف بلداننا المختلفة المتنوعة، وكيف يسهم كل منّا، من موقعه الخاص في هذا النضال؟

ثانياً: كيف يتحدّد الربط بين المهمة المشتركة للحركة الثورية العالمية التي هي النضال في سبيل السلم والمهمات الخاصة بكل فصيل من فصائلها في إطار تطور العملية الثورية العالمية؟

ثالثاً: ما هي الأشكال الجديدة لتجلي الصراع الطبقي في عالمنا الذي يشهد تغيرات كبيرة في ظل ترابطه وتناقضاته؟

رابعاً: هل الظروف الجديدة التي تتيح إجماع التجليات الأكثر عدوانية للإمبريالية ستؤدي إلى تغيير طبيعتها في نهاية المطاف أم أنّ هذه الطبيعة سوف تستمر وترتدي أشكالاً أخرى؟

خامساً: إلى أي حد يمكن اعتبار الحروب الإقليمية مجرد حروب إقليمية؟ وإلى أي حد يمكن اعتبار النزاع العربي - الإسرائيلي مجرد نزاع إقليمي في ظل اتفاقية التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل، وامتلاك هذه الأخيرة للسلاح النووي، ومشاركتها في برنامج حرب النجوم؟

سادساً: كيف تتطور وسائل إعلامنا الخاصة والمشاركة شكلاً ومضموناً، مع الاستخدام الواسع لأحدث الوسائل التكنولوجية، للوصول إلى أوسع أوساط الجماهير، ومواجهة الإعلام الإمبريالي؟

سابعاً: كيف تعالج مسألة الديمقراطية في إطار العلاقة بينها وبين الاشتراكية، كمسألة أساسية داخل أحزابنا، وفي العلاقة بين هذه الأحزاب وبينها أو بين حلفائها داخل المنظمات الديمقراطية، وعلى الصعيد المحلي والإقليمي والدولي، وفي العلاقة مع الجماهير، بوصفها - أي الديمقراطية - حقاً أساسياً من حقوق الإنسان في المجتمعات كافة؟

ثامناً: انطلاقاً من التلازم بين وجهي النضال الطبقي: القومي والاجتماعي، ما هو دور الحزب الثوري، فكراً وبرنامجاً وممارسة، في المسألة القومية؟

إنّها مجرد نماذج لأسئلة ولقضايا كثيرة بالغة الأهمية بالنسبة لنا جميعاً.

غير أننا، في هذا اللقاء، مدعوون، بالتحديد، لكي نبحث، هنا، بعمق، في تطوير مجلّتنا "قضايا السلم والاشتراكية"، كمنبر مشترك، نعرض فيها أفكارنا، وتجاربنا، ونتناقش حولها، فيما بيننا، ونتناقش مع الآخرين، بحرية وصراحة، وبدون قيود، ونعالج، بجرأة، القضايا التي تواجهنا مجتمعين، ومنفردين، في العالم المعاصر، ونجيب، في ضوء التحليل العلمي، على الأسئلة الكبيرة التي تحتاج منا، وقبل سوانا، إلى الأجوبة الأقرب إلى الصحة والصواب. فالمجلة - المنبر، هي واحدة من أدوات نضالنا الإيديولوجي المشترك. فهي، إذاً، من موقعها هذا، حقل اختبار، تمارس فيها عملية التجديد التي هي هدفنا المباشر، التجديد في الفكر وفي نمط التفكير، وفي ممارسة العلاقة مع أحداث الحياة ووقائعها، ومع القضايا التي تثيرها، وتمارس التجديد في شكل العلاقة بين فصائلنا، في كفاحها، داخل بلدانها، وفي إسهاماتها، المتعددة المختلفة المتنوعة، في النضال العام المشترك ضد الإمبريالية ومن أجل السلم والتحرر والتقدم، وتبادل عبر النقاش الحي، التجارب، فنغني، بذلك كله، فكرنا الثوري، ونغني تراثنا الثوري في كل المجالات، ونزداد اقترباً من القوى الأخرى التي نلتقي معها في الهدف النهائي، فتزداد الحركة الثورية قوة، وتزداد اقترباً من الجماهير التي تعبّر أفكارنا وبرامجنا عن مصالحها الحقيقية الآنية والبعيدة المدى، فتزداد قدراتنا على تحريك هذه الجماهير وتعبئتها في النضال العام وفي المعارك المختلفة.

إنّ الاقتراحات التي تقدمتُ بها المجلة من أجل تجديد وتطوير عملها، في المرحلة المقبلة، سواء في شكل إدارة شؤونها سياسياً وتحريراً وتنظيماً، أم في تأمين الشروط الأفضل لإثارة النقاش فيها، ولتبادل التجارب وتحويلها إلى منبر فكري غني ومتنوع، هي اقتراحات نحن نؤيدها، ففي هذه الاقتراحات محاولة جادة لجعل مجلّتنا المنبر، في شكلها وفي محتواها، وفي المشاركة الديمقراطية الجماعية في قيادتها، من الحاجة الموضوعية التي تلازم نضالنا اليوم، للتجديد الحقيقي الذي يعطينا الحزب الشقيق الأكبر الحزب الشيوعي السوفياتي، منه مثلاً حياً رائعاً غنياً، في ممارسته، في ظل البريسترويكا، التي تصبح، في عصرنا، اليوم، الظاهرة الأبرز، والتي تطبع هذا الربع الأخير من القرن العشرين بطابعها المميّز... ولكنتنا نود في هذا السياق، أن ننبه إلى خطر الوقوع في شكلية التجديد، بدلاً من الانخراط الحقيقي في عملية التجديد. فالقديم الذي فينا لن يزول بدون صراع. ولذلك فإننا مدعوون لأن نحدث التغيير بعمق، وجرأة في نمط التفكير،

لكي نتمكن من تجديد الفكر، وتجديد ممارستنا على أساسه. فتجربتنا تشير إلى وجود حالات عديدة مما يسمّى بالتجديد. فكان النمط القديم من التفكير والممارسة هو المسيطر فيه، وهو المتحكّم، هو القابض على الفكر، الكابح، بأشكال جديدة لعملية التغيير والتجديد. من هنا ضرورة أن نكون صارمين وجريئين في تحديد عملية التجديد هذه في الشكل والمحتوى، وفي الإدارة الديمقراطية الجماعية لهذه العملية. ونعتبر، في هذا الضوء، أن وضع قيود مسبقة من شأنه أن يحد منه ويلجمه، ويبيدّ الغنى الذي يفترض أن يحمله إلى فكرنا وإلى تراثنا الثوريين.. وفي هذا المجال ندعو إلى الاقتداء بالمثل العظيم الذي أعطانا إياه لينين في شكل ممارسته النضال الفكري والنقاش حول كل القضايا الفكرية والسياسية، حتى التنظيمية، داخل الحزب، بشكل علني، ومع الأحزاب الأخرى الشقيقة، ومع الخصم الطبقي.

إنّنا، في ضوء كل ذلك، وفي إطار الاقتراحات المتداولة نود التأكيد على أن يكون مجلس تحرير مجلة " قضايا السلم والاشتراكية" هو الهيئة الجماعية المقرّرة لكل شؤون المجلة الذي تتأمّن فيه أفضل الظروف لمشاركة الجميع على أساس الديمقراطية والمساواة. كما ندعو إلى جعل اللغة العربية إحدى اللغات الأساسية العاملة في المجلة وإيلاء الأهمية اللازمة للقسم العربي من كافة النواحي، ترجمةً وتحديثاً وتحسين ظروف عمل ومعيشة العاملين في القسم.

أيها الرفاق

لعلكم تعلمون أنّ حزبنا، منذ فترة طويلة، تعود، في الأساس، إلى مؤتمره الثاني، في آب عام ١٩٦٨، يحاول أن يطرح أفكاراً جديدة، وأن يناقش، بشكل علني، قضايا فكرية وسياسية وتاريخية، تتعلق بلبنان، وبالبلدان العربية، وبالحركة الثورية في هذه البلدان، وبالإشكاليات التي رافقت وترافق تطور هذه الحركة، بما في ذلك أحزابنا الشيوعية فيها، وبالدرجة الأولى منها حزبنا، بالذات.

ويستمر حزبنا في طرح الأفكار وإثارة النقاش حول هذه القضايا. وكان المؤتمر الخامس الذي عُقد في العام الماضي، والندوة اللبنانية العربية العالمية التي عُقدت تحت شعار الحوار الديمقراطي من أجل التغيير، مناسبة لتطوير هذه العملية. ولا نزعّم أنّ ما نطرحه هو الحقيقة وحدها. بل إنّنا نعتقد أنّ ثمة فيما نطرحه من أفكار ما يحتاج بالتأكيد إلى نقاش. لذلك فإنّنا نطمح لأن يعمّ النقاش كل حركتنا، حول هذه القضايا، وأن تسهم فيه بدون حدود وقيود، أحزابنا ومفكروها، وكل الأحزاب

والتنظيمات الثورية الأخرى، على تعدد اتجاهاتها الفكرية والسياسية، وأن يسهم فيه المثقفون الديمقراطيون العرب كلهم. ومن أجل ذلك دعونا، وندعو، اليوم، كل رفاقنا من الأحزاب الثورية، إلى الانخراط في عملية التجديد التي لا غنى لحركتنا الثورية العربية عنها، في الفكر وفي البرنامج السياسي وفي أشكال الكفاح وفي أشكال التنظيم، وأن نخلق الأدوات التي تساعدنا في إنجاز هذه المهمة. ونعتبر أنه أن الأوان لكي تكون منابرنا الراهنة، الخاصة بكل منا، والعامّة المشتركة بيننا، وكذلك المنابر الجديدة التي ينبغي أن ننشئها، أكثر انفتاحاً على هذا النقاش العلمي الديمقراطي، الجريء والعميق، الذي لا تحدّه حدود ولا قيود. ومن جهتنا فسوف نطوّر إسهاماتنا في هذه المنابر كلّها، ولا سيما منابرنا الخاصة، صحفنا اليومية والأسبوعية والشهرية، وكذلك إذاعتنا "صوت الشعب". وسوف نطوّر أيضاً بهذا الاتجاه، إسهاماتنا في مجلّتنا الكبرى مجلّة "قضايا السلم والاشتراكية".

ونحن واثقون أنه بمثل هذا الجهد، يمثل هذا الإسهام، وعلى هذا الأساس من النمط الجديد في التفكير، وفي الفكر، وفي الممارسة السياسية، نستطيع أن نرتقي إلى مستوى المهمات العظيمة المطروحة أمامنا، كأحزاب في بلداننا، وكحركة ثورية عربية شاملة. إنّ الجماهير في بلداننا العربية التي دفعتها الأزمة في الحركة الثورية العربية إلى الانكفاء، تعود اليوم، وبأشكال مختلفة جديدة وعميقة، إلى النهوض، وإلى لعب دور كبير وفعال. ولدينا في السنوات الأخيرة، أمثلة فذة على ذلك، أبرزها صمود الوطنيين اللبنانيين والفلسطينيين في حصار بيروت، خلال الغزو الإسرائيلي للبنان، في عام ١٩٨٢، وانطلاق المقاومة الوطنية اللبنانية، التي لعب الحزب الشيوعي اللبناني دور المبادر فيها، والذي لا يزال يلعب دوراً أساسياً فيها، والتي حققت إنجازات كبرى في طرد القوات الأميركية الغازية وفي إسقاط اتفاق ١٧ أيار وفي تحرير القسم الأكبر من الأراضي من الاحتلال الإسرائيلي، وتستمر، بمشاركة جميع القوى الوطنية، في مهمتها بجرأة ورغم كل الصعوبات. وتشكّل انتفاضة الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة اليوم، الظاهرة الأبرز في الدور الذي تضطلع به الجماهير في النضال الوطني العربي المعاصر، وهي التي تحظى بتأييد ودعم واسعين، تستحقهما، من قبل كل قوى الحرية والتقدم والسلم في العالم. وفي اضطلاعنا، كأحزاب، وكحركة ثورية، بالدور الذي يعود لنا في النضال الطبقي، بوجهيه القومي والاجتماعي، في بلداننا، نكون قد أسهمنا، وبشكلٍ صحيح وفعال، في النضال العام الذي تخوضه البشرية، بقيادة قواها الثورية، من أجل الدفاع عن السلم والحياة، ومن أجل مستقبل أفضل للإنسان، ومن أجل تقدم الحضارة. وسيكون علينا، في المستقبل من الأيام والأعوام، أن نبذل الجهد، عبر

المجلة، وعبر كل أدوات نضالنا، الفكري والسياسي، من أجل إغناء أبحاثنا وتعميق وتطوير وتوسيع نقاشاتنا، من أجل أن نجيب على الأسئلة التي طرحتها وتطرحها الحياة علينا جميعاً، والتي كانت ندوة موسكو، خلال احتفالات الذكرى السبعين لثورة أكتوبر، ميداناً جريئاً للتأكيد عليها.

صحيح أننا ننتمي إلى عالم واحد، ولكننا نأتي إلى هذا الانتماء من مواقعنا المختلفة، إنها الوحدة الكونية في التعدد. وإنها الوحدة الثورية في التنوع.

شكراً لكم أيها الرفاق في مجلة "قضايا السلم والاشتراكية" على هذا اللقاء، وعلى تنظيمه، وعلى الأفكار الجديدة الغنية التي عرضتموها لنا في التحضير له، وفي سياق انعقاده، وشكراً لكم أيها الرفاق التشيكوسلوفاكيون على ضيافتكم.